المناسبة: هذا البيت هوالسابع والعشرون من القصيدة السابقة التى ذكرت مناسبتها فى المثال رقم ٦٤.

اللغة: الكرب: جمع كربة، وهى الشدة والمحنة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: من الصدق ما ضرّ ولم ينفع!

نثر المثل: يقول عن الحُمَّى إنها صادقة الوعد فى الورود - لأنها لا تتخلف عن ميقاتها - وذلك الصدق شر من الكَذِب؛ لأنه صدق يضر ولا ينفع كمن أوعد ثم صدق فى وعيده.

قافية النون

[١]

الحُبّ ما مَنَعَ الكلامَ الألْسُنَا وألَـذُّ شكوَى عاشقٍ ما أعْلَنا

المناسبة: هذا هو مطلع القصيدة التى قالها يمدح بدر بن عمار، وقد سار إلى الساحل، ثم عاد إلى طبرية وكان أبو الطيب قد تخلف عنه، فقال يعتذر إليه.

اللغة: ذهب الشُّرَّاح إلى أن «ما» فى قوله: «الحب ما منع الكلامَ الألسنا»: موصولة بمعنى الذي. و «الألسُنَا»: إما بضم السين جمع لسان، واللسان: الجارحة واللغة أيضًا. قال جل شأنه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[إبراهيم: ٤].

وقد يؤنث ويذكر، فمن أنثه قال فى جمعه: ثلاث ألسن، كذراع وأذرع، ومن ذكره قال فى جمعه: ثلاثة ألسنة. وروى الأَلْسَنَ (بفتح السين) وهو الذّلِق الفصيح.

الفكرة التى يدور حولها المثل: الحبّ والشكوى بين السكوت والإعلان.

نثر المثل: يقول: غاية الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما فى قلبه منه، كما قال المجنون:

ولَمَّا شكوتُ الحُبَّ قالت: كذبتَنِي فمالي أرى الأعضاءَ منك كواسيَا؟!

فما الحبُّ حتى يلصَقَ الجلْدُ بالحشا وتخَرسَ حتى لا تجيبَ المناديا!

قال الواحدي: والظاهر أن «ما» فى قوله: «ما أعلنا» نفى؛ لأن المِصْراع الثانى حَثٌّ على إعلان العشق، وإنما يعلن من قدر على الكلام!، وإن كانت موصولة كالأولى كان المعنى ألذ شكوى العشق أن يبثها المحب ، وهذا كما يقول أبو نواس:

فُبحْ باسم من تَهْوى ودَعْنِي من الْكُنَى فلا خَيْرَ فى اللذاتِ من دونِها سِتْرُ

ولعل ما دعا الواحدي إلى جواز أن تكون «ما» نفيا هو ما يظهر من التناقض فى البيت إذا جعلت «ما» موصولة، ومن ثم قال بعض الشُّراح عقب شرحه للبيت بما شرحناه للخروج من هذا التناقض: فقد وقع المحب فى بلاء بين هذين: أى بين كون حق الحب أن يغلب على اللسان، وبين ألذ الشكوى الإعلان.

[٢]

وَمَكايدُ السُّفَهَاءِ واقعةٌ بهم وعـداوَةُ الشّعَراء بِئْسَ المقْتَنى

المناسبة: وهذا هو البيت السابع والثلاثون من القصيدة السابقة.

الفكرة التى يدور البيت حولها: كيد السفهاء وعداوة الشعراء.

اللغة: السفهاء: جمع سفيه، وهو الذى لا عقل له ولا رأي، وأصله الذى لا يعرف أن يدبر أمره، والأصل فيه الخفة، وتسفهت الريح الشجر: مالت به، وتسفهت فلانا عن ماله: إذا خدعته عنه، وعَنَى بالسفهاء: السُّعَاةُ فى الشر والوُشاة الذين وشوا به.

المثل منثورًا: يقول: كيدهم يعود عليهم بالشر، ثم قال: وإذا عودي الشاعر أَلْحَقَ بعِرض عدوه ما يبقى لاصقًا به بقاءالدهر، وهذا تهديد بالهجاء.

[٣]

لُعِنَت مـقـارَنَـةُ اللّئِيم فإنها ضَيْفٌ يَجُرّ مِـنَ الندامة ضيفَنَا

المناسبة: هذا البيت يلي البيت السابق من القصيدة نفسها.

اللغة: الضيفن: الذى يجيء مع الضيف أو الفضولي الذى لم يُدْعَ. ونونه زائدة. وهو «فَعْلَن» إن أخذ من الضيافة، وإن أخذ من الضفن - وهو الثقيل القليل اللحم- فوزنه فيعل.

الفكرة التى يدور حولها البيت: مخالطة اللئيم وما تجره وراءها من الندامة.

نثر المثل: إن مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة لما تجر وراءها من الندامة فهي كضيف يليه ضيف من الندامة.ولا عجب فكل قرين بالمقارن يقتدي! وهو كنافخ الكير يؤذيك بدخانه، ويحرق ثيابك بناره، ولا تشم منه إلا ريحًا خبيثة.

[٤]

أفاضِلُ الناس أغراضٌ لذا الزّمَنِ
يخلو من الهَمِّ أخْلاهُمْ مِنَ الفِطَنِ

المناسبة: هذا مطلع قصيدة قالها يمدح أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية.

اللغة: الأغراض: جمع غرض، وهو الهدف الذى يُرْمى. والفطن: جمع فطنة. ويراد بها العقل والذكاء.

الفكرة التى يدور حولها المثل: أفاضل الناس أغراض للزمن.

نثر المثل: يقول: إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه، ويقصدهم بالمحن، فلا يزالون محزونين، وإنما يخلو من الحزن من كان خاليًا من الفطنة. وهذا بيت عظيم.

وحاصل المعنى: أن الزمان إنما يقصد بشره الأفضل. قال حكيم: «على قدر الهمم تكون الهموم»؛ وذلك أن العاقل يفكر فى عواقب الأمور، فلا يزال مهمومًا، وأما الجاهل فلا يفكر فى شيء من هذا.

وفى هذا المعنى يقول الجاهلي ذو الإصبع العدواني:

أَطَافَ بنَا رَيْبُ الزّمَانِ فداسَنَا له طائفٌ بالصالحين بَصِيرُ

ويقول البحتري:

أَلَـمْ تَـرَ للنّوَائِبِ كيفَ تَسْمُو إلى أَهْـلِ النَّوافِلِ والفضولِ؟!

[٥]

فَقْرُ الجَهُولِ بَلا عَقْلٍ إلى أَدَبٍ فَقْرُ الحِمارِ بلا رأسٍ إلى رَسَنِ

المناسبة: هذا هو البيت السابع من القصيدة السابقة.

اللغة: الجَهُول: الكثير الجهل. - والجهل ضد العقل - والرَسَنُ: الحَبْلُ الذى تقادُ به الدابة.

الفكرة التى يدور حولها النص: عدم حاجة الجُهّال إلى الأدب.

نثر المثل: يقول: إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب، إذ لا عقل له، وأول ما يحتاج إليه الإنسان العقل الذى به يعقل ثم يتأدب بعد ذلك، فإذا لم يكن عاقلًا، لم يحتج إلى أدب كالحمار مالم يكن له رأس لا يحتاج إلى الرسَنِ.

[٦]

لا يُعْجِبَنَّ مَضِيمًا حُسْنُ بِزَّته وهل تَرُوقُ دفينًا جودة الكَفَنِ؟!

المناسبة: وهذا هو البيت الخامس عشر من القصيدة نفسها.

اللغة: المضيم: الذى وقع عليه الضيم وحَلَّ به الظلم. البِزّة: اللباسُ الحَسَن. تروق: تعجب. والدفين: الميت المدفون. وأراد بحسن البزة: اليسر وسعة الرزق.

الفكرة التى يدور حولها المثل: ليس للمظلوم أن يفرح بسعة رزقه.

نثر البيت: يقول: لا ينبغى للمظلوم أن يُسَرّ بسعة رزقه التى من آثارها حسن البِزّة مع ماهو فيه من الذل، فإنه مثل الميت الذى دفن، والميت لا يُسَرّ بحسن كفنه.

شبه المظلوم الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت وجعل ثوبه الحسَن كالكفن.

[٧]

وَمَا الْخَوفُ إلَّا ما تَخَوّفَه الفَتَى ولا الأمْـن إلا ما رآه الفتى أمْنَا

المناسبة: هذا البيت هو آخر بيت من قصيدة قالها يمدح سيف الدولة وكان قد توقف عن الغزو ولما سمع بكثرة جيش الروم فأنشده بحضرة الجيش قَصيدة مَطلعها:

نـزورُ ديـارًا ما نُحِبُّ لها مَعْنى ونسأل فيها غير سُكّانِها الإذنا

الفكرة التى يدور حولها المثل: الخوف والأمن.

نثر المثل: يقول: العِبْرَةُ فى الخَوْفِ بما يَراهُ الرَّجُلُ خَوفًا وإن كان أمنا والأمن كذلك، فإن أَمِنَ غير المأمون فقد صار أمنا. المهم هو الإحساس الداخلى.

[٨]

فما يـدوم سُـرورُ مَا سُـرِرْتَ بِهِ ولا يَـرُدُّ عليك الفَائتَ الحَزَنُ

المناسبة: هذا هو البيت الرابع من قصيدة قالها وقد بلغه أن قومًا نعوه فى مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر.

الفكرة التى يدور حولها المثل: كل شيء زائل، وما فات لن يعود.

نثر المثل: يقول: لا تبالِ بما يحدثه لك الدهر فإن المفروح به لا يدوم فرحه، لأنه لا يدوم، والحزن على الغائب لا يرده إليك.

هذه رواية الواحدي، وتبعه العكبري. وعلى هذا فسرور مضاف إلى ما بعده. قال بعضهم: وهو من التجوزات المستقيمة فى الوزن ومن ثَمَّ قال: ولعل الأظهر:

* فما يُدِيمُ سُـرُورٌ ما سُـرِرْتَ به *

قال: وهو ما يقتضيه التطابق بين شطري البيت. يقول المتنبى: سرورك بالشيء لا يُديمه عليك؛ لأن كل شيء زائل، فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يرده؛ لأن ما فات لن يعود.

[٩]

يَامَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بمجلسِه كلٌّ بما زَعَمَ النّاعُونَ مُرْتَهَنُ

المناسبة: هذا هو البيت التاسع من القصيدة السابقة، وهو مرتبط بمناسبتها أيما ارتباط.

اللغة: الناعون: جمع ناعٍ وهو الذى يأتى بخبر الميت.

الفكرة التى يدور حولها المثل: كل أحد مرتهن بالموت فلا يفرح أحد بنعى أحد.

نثر المثل: يقول: إني قد نعيت بمجلسكم على البعد، وكل أحد مرتهن بالموت لابد له منه، فلا يفرح أحد بنعي أحد.

[١٠]

ما كُلُّ ما يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ تجرى الرياحُ بما لا تشتهي السُّفُن

المناسبة: وهذا هو البيت الثاني عشر من نفس القصيدة السابقة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: حوادث الأيام لا تأتي على هوى الأعداء!

نثر البيت: يقول: إن أعدائي يتمنون موتي، ولكنهم لا يدركون ما يتمنون، ثم ضرب لذلك مثل السفن فقال: إن السّفن - يعني أهلها - تشتهي الرياح الموافقة لسيرها، ولكن الرياح كثيرًا ما تجري على غير ما تشتهي.

[١١]

غيرَ أن الفَتَى يُـلاَقـى المنايا كالحاتٍ ولا يُـلاقـى الهَوانَا

المناسبة: هذا البيت هو البيت السابع من قصيدة قالها بمصر ولم ينشدها كافورًا.

اللغة: كالحات: عابسات.

الفكرة التى يدور حولها المثل: وقع الذل على الحر وملاقاته.

نثر البيت: يقول: إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقى ذلًّا وهوانًا.

[١٢]

وإذا لَـمْ يَـكُـنْ من الـمـوتِ بُدٌّ فمن العَجْزِ أن تكونَ جَبَانَا

المناسبة: هذا هو البيت التاسع من القصيدة السابقة.

الفكرة التى يدور حولها المثل: من العجز أن يكون المرء جبانًا مهانًا.

نثر المثل: يقول: إذا كان الموت لا محيص عنه، ولا ينجو منه شجاع ولا جبان، فإن الجبن إِذَنْ من ضعف الهمة وعجزها.

[١٣]

كل ما لَمْ يكُنْ من الصَّعْبِ في الأنْفُسِ سَهْلٌ فيها إذَا هُوَ كَانَا

المناسبة: وهذا هو البيت العاشر من نفس القصيدة.

اللغة: كل مبتدأ. من الصعب خبرها، وسهلٌ خبر ثان، ويكن تامة، وكذا كانا آخر البيت.

الفكرة التى يدور حولها البيت: صعوبة الأمر على النفس قبل وقوعه فإذا وقع كان سهلًا.

نثر المثل: يقول: إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه فإذا وقع سهل وهان، كما قال البحترى:

لعَمْرُك ما المكْرُوهُ إلَّا ارتقابُه وأبـرحُ مـمّـا حَـلّ مـا يُـتَـوَقَّـعُ

والأصل فى هذا قول أعشى باهلة:

لا يصْعُبُ الأمْرُ إلا رَيْث يَرْكبُه وكلُّ أمْرٍ سِوَى الفَحْشَاءِ يَأتَمِرُ

[١٤]

فـإن يَـكُ إنسانًا مَضَى لسبيله فـإن الـمـنـايَـا غـايـةُ الـحـيـوانِ

المناسبة: هذا هو البيت السابع من قصيدة قالها يذكر خروج شبيب العُقيليّ على الأستاذ كافور، وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

اللغة: مضى لسبيله: هلك. غاية: نهاية. والمنايا: جمع منية: الموت. وضمير «يك» عائد على شبيب. والحيوان: الحياة.

الفكرة التى يتناولها المثل: الموت نهاية كل حي.

نثر المثل: يقول: إن يك شبيب قد هلك ومات، فإن الموت غاية كل حي، فلا عار عليه من ذلك.

قافية الياء

[١]

إذا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلّةٍ فلا تَسْتَعِدّنّ الحُسَامَ اليَمانِيَا

المناسبة التى قيل فيها هذا المثل: هذا هو البيت الثاني من قصيدته التى قالها حين فارق سيف الدولة، ورحل إلى دمشق وكاتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه، وحمل إليه آلافا من الدراهم، فقال يمدحه، وأنشده إياها فى جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة. ومطلعها:

كَفَى بِكَ دَاءً أن ترى الموتَ شافِيَا وحَسْبُ المنَايَا أن يَكُنّ أَمَانِيَا

اللغة: استعدّه: حاول أن يتخذه عُدّة له. والحُسَام: السيف القاطع. واليَمانّي: المنسوب إلى اليمن.

الفكرة التى يدور حولها المثل: تصنع السيوف وتحمل لرفع الذل.

نثر البيت: يقول - مخاطبًا نفسه - إنما يتخذ السيف ليرفع به الذل، فإذا رضيت أن تعيش ذليلا، فماذا تصنع بالسيف اليمانيّ تُعِدّه؟! قال ابن جني: استعمل النهىَ فى موضع الاستفهام الذى استعمله غيره فى قوله:

فَلْم طال حمْلِي جَفْنَهُ ونجاده إذا أَنَا لَمْ أضْـرِبْ به من تعرّضَا

[٢]

فَمَا يَنْفَعُ الأُسْدَ الحَيَاءُ من الطَّوَى ولا تُتّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوارِيَا

المناسبة: هذا هو البيت الخامس من القصيدة السابقة.

اللغة: الطّوَى: الجوع. وتُتّقى: تُحْذَر. وضَرَى الكلبُ بالصيد: تعوّده ولهج به، ولم يكد يصبر عنه، ورُوي عن عمر - رضي الله عنه - إن لِلَّحم ضراوةً كضراوة الخمر مع شاربها، وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف فى النفقة حرصًا